مجموعتان من الشعر الفلسطيني

● ناجي علوش : صياغة باهتة لموضوعات قديمة

● خالد ابو خالد : الموروث الشعبي داخل العملية الفنية

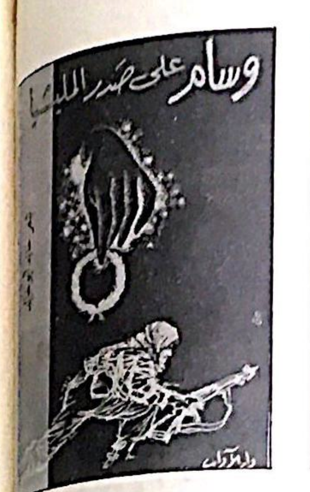

يبدو الحديث عن فـن ، كل طموحه المعلن هو مجرد الإلتصاق الاحادي بالهموم الحاضرة ، صعبا . فمثل هذا الذي تدفق (ويقولون اندلق ..) غداة حزيران، اصبح عادما لقيمته ، بعد ان تحول الى تشيء موضوعي للهموم الذاتية المحضة . وبعد ان وقعت هموم الشعب تحت طائلة التخريج الذاتي .. ذلك التخريج الذي لا يملك ان يعبر عن نفسه سوى بغناء وحداء الفدائي ، والشفقة على ، وتعهير كل ما هو غير « فدائي » .

ان هذا الحديث ، عن مثل هذا الفن ليس صعبا فقط ، ولكنه الى ذلك وفي احيان عديدة، غير ضروري . غير ضروري لانه كان مشروعا فور حزيران ، وفي سبيل هجر القيم الشعرية المتآخية مع الهزيمة ومقوماتها ، ان يشرع الشعر العربي ، بالتعامل المباشر مع هموم الشعب والوطن ، وبالتجاور مع الفعل الفدائي الباسل . غير ان التوقف عند تلك المرحلة ، لم يطلق الثرثرة والفصاحة والادعاء فحسب ، ولكنه اورث التيبس والكذب والنوم على امجاد الفدائي . ولعل المثل الصارخ على ذلك ، ديوان ناجي علوش الصادر اخيرا :

« النوافذ التي تفتحها القنابل » . فمن المباسطة العائلية التي يفتتحها الديوان (الى ام ابراهيم والى الصغيرين . الذين لم استطع ان اقدم لهم شيئا غير المتاعب ..) الى المقدمة التي يعرض فيها سيرة حياته الشخصية (اخذ الاستاذ يهز راسه .. يقول : عافاك ستكون شاعرا) ، (كانت تربطني بالشاعر علي السبتي صلة مراسلة ، فاخذ يطلب مني قصائد وينشرها في البحرين والكويت) (انغمست هنا ــ الكويت ــ في العمل السياسي والنقاش السياسي والقراءات السياسية .. انغماسا تاما . الا ان التحول في شعري لم يحدث الا سنة ١٩٥٧) .. الى الاشعار ، يبدو واضحا كم ان هذا الكتاب لصاحبه هو بمثابة « تدبير شخصي » . تدبير تقتضي استدعاء الالام والاشواق الشعبية لمشاركته في حياته . فالشاعر باعترافه لا يملك موهبة غير عادية (اي موهبة ناجحة) ، والشاعر يرفض كتابته باعتبارها للمثقفين امثاله وليست للجماهير ، ولا هي بلغتها .. ولكنها رغم ذلك ــ بتصريح الشاعر ، تعبر عن مشاكلها وقضاياها . لنقرا مثلا احدى جماهيريات علوش :

قسما بالتراب الجيب ــ قسما بالذكريات التي سوف تبقى خوافق ــ سوف نأتيك عبر الدما واللهيب ــ سوف تأتيك راياتنا والبنادق .

اين يفترق هذا الكلام عن شعر الرداحين بعد الـ ٤٨ ؟ وهل يفترق بدرجة واحدة ، عن شعر المواقف الاخلاقية البائسة . او هذا المقطع :

المجد للمقاتلين ــ المجد للذين علموا جموعنا بأن خير لغة تصلح للحوار ــ ليست غير لغة البنادق .

هنا لا يخسر الشعر ابجديته الفنية فقط . ولكنه يهبط في حماة الانفعال المتفخ من الشعر الى النثر الى الحكي . ولعل هذا هو المردود الوحيد للعاطفة الفعل . ثم هذا المقطع .

.. وكلما قتلتموا مقاتلا ــ هب الى الميدان الف ثائر مقاتل ــ سيل الحياة جارف ــ وكل ما سيتم ــ لا بد ان ينهار ــ امام زحف شعبنا المقاتل الجبار .

ان الشاعر وهو يتنكب تداعي انفعالاته، لا يملك الا ان يصدر عن صدى صوت الشاعر القديم ، الذي يحتل جنباته . ففي غيبة الرؤية الشعرية التي يلازمها تيه فكري ، يظهر واضحا لماذا ان الشاعر ، يراهن على الاعتداد الاخلاقي ، ولماذا ينظر للفدائي على انه فارس تنشق عنه ارض . ولماذا ايضا يستخدم لغة اناشيد مدارسنا برتابتها القاتلة ، وبفقدانها المطلق للقدرة على الايحاء واثارة حساسية القلب .

ان الشاعر وهو يطمح (والاصح يطمع) لغناء شعر جماهيري ، لا تتأتى عنده القدرة ، الا على ابتذال الشجاعة بالخوارق . والا على اقناع الشعب بافعاله وتذكيره بها . وهو بذلك ينفصل عن نضال الشعب مرة ، ومرة يقول كلاما ليس سوى ذيل لافعال الشعب .

لم ينته النضال بعد ــ لم تنته المسيرة ــ وما تزال الف جولة تنتظر الابطال ــ من اجل ان يسحق راس الغول في نيويورك ــ او تحول الادغال ــ الى حقول قمح وعنب وحنطة وروض برتقال ..

قد يدعي هذا الشعر لنفسه التواضع، ولكنه تواضع السذاجة . وقد يظن هذا الشعر في نفسه البساطة ، ولكنها بساطة اخفاء الضمور الشعري . وقد يعتقد التقشف ، لكنه تقشف الفقر في الابداع . اما تجربة توجه الشعر الى الجماهير ، هنا ، فقد سقطت في الخطيئة ، غير مرة . خطيئة ترداد موضوعات الشعر القديم :

التبرير الاخلاقي ، المواقف الواهمة العاجزة ، المواقف الفروسية ، الثأر للوطن ــ الجنة .

وخطيئة اصرار الشاعر على « تعميد » كل ذلك بتلك اللغة الصعبة . لغة الشعر .

اما الخطيئة الثالثه ، فهي تحميل الجماهير العفوية والمناضلة مغبة ذلك !.

• • •

في ديوانه « وسام على صدر الميليشيا » يستخدم الشاعر خالد ابوخالد الهموم الحاضرة، بمنحى آخر . متقدم وواثق ، ولا تنقصه العافية في عديد من الاحيان .

•

ليس مرد ذلك اختلاف النظرة الذاتية (النفسية) للتعبير الفني عند ابو خالد عن علوش . ولكن لان شاعر (وسام ..) يستخدم لغته الفنية التي يحدب عليها من سنين ، عوض ان يستخدم لغته الفنية التي يحدب عليها من سنين ، عوض ان يستخدم لغة لا تنبثق منه . وعوض ان يجترح اداة ليست مقصودة لذاتها ، انما لاسناد نشاط آخر له .

على ان ذلك لا يعني ان الشاعر اعطى عملا رائعا ، او انه تمتع بصياغة فنية نادرة . ففي هذا العمل الذي يخلو من الادعاء عثرات . ولعل الملاحظة الاولى هي انزلاقه الى الثرثرة الشعرية، فليس مفهوما لماذا يصر الشاعر على ان تظهر قصائده جميعها بحجم متقارب ، رغم ان اللحظة الشعرية فيها تتفاوت باتساع وضيق ، بعلو وهبوط . ام هي « عادة » ؟

ان الثرثرة تبدو بارزة ونافرة ايضا ، لاعتماد الشاعر التنامي الذهني ، الذي ينثر القصيدة ، دون ان يجعلها « قصيدة نثر » :

لعنت الثدي والنبيم ــ وبابي الذي حلمه علي ــ لعنت عرى الشوق لمه ــ حضنني صليت ــ اوقدت شمعتي ــ عدت يا الهي التراب ــ انت ــ والعذاب والزمن ــ علوت محنتي ــ روضتها ــ فأقلعت تحملني ــ احملها ــ تميمة على الحين والحل ــ .

ان هذا الكلام النثري لا تشفع له اي تقطيع ، ففي غمرة انسياق الشاعر بالحكاية ــ التي هي سياق غالبية قصائده ، يفقد كثيرا من عناصر الشعر ، وتظل الحكاية مجرد سرد براهين ... الجملة بدل الصورة الشعرية .

لكن الشاعر في مواضع اخرى يحظى ... على انهاض الصورة الشعرية ، مبين ... السرد والتقرير .

لعينيها ــ كبرنا يا احبتنا وغبنا لعينيها ... تصير الارض بحرا والجبال الموج ــ تصير ... البحارة القدماء ــ اكراما لعينيها ــ ... مدى الهدين شمس الجرح ــ فانسلوا ... ــ وغنوا البحر والبحار ــ غنوا محنة الاسفار ... وانتظروا على الميناء طول الليل .

في هذا المقطع تتبدى قدرة الشاعر على ... لحظته الشعورية ، بلغة مرهفة رقيقة ، ... من الحب ، وليس الحماس والجلبة ــ ... الحب لان الوطن مكان يخص القلب ، وليس ... او مزرعة القصب والعنب والحنطة والبرتقال ... وليس كذلك ورثة عن الاجداد .

انا هنا على مشارف الشمال ــ ... يا حبيبتي ــ والليل والنهار ــ وهذه ... الكبار ــ لم تحرك ساكنا برغم محنة ...

يبقى على هامش ذلك ، الترحيب ... الشاعر ، في نقله الاغنية الشعبية الى ... العملية الفنية . ذلك ان استخدام ... الشعبية ، في داخل القصيدة ، ينقذ الشعر ... « التطعيم والترصيع » الـذي عهده ... الفلسطيني .

• • •

ان الحديث عن فـن ، يتوقف عند الالتصاق الاحادي (الاتكاء على البطولة) بالهموم الحاضرة غير ضروري . فمثل هذا الفن فقد مبرره ... وتحول الى تابع ذليل للمخاض العظيم .

ولكن الحديث عن نموذجه (علوش) ... جاء محاولة للكشف عن هذه الظاهرة ... تتورم كل يوم .

اما الشاعر الاخر ، الذي لا ينظر ... المقاومة موضوعا سهلا رائجا ، ويبحث ... الانسان بجماعه : ضعفه وشجاعته ... ويغني حس الوطن كحقيقة شخصية ... فهو الشعـر الـذي يستحق ... ونموذجه هنا ابو خالد .

(م . سعيد)

● الهجـرة

كنا نرجع كالظل يهاجر خلف الشمس
يرقص في اصبعنا المنديل
نروي الدرب بدمعات النخل المصلوب
والنيران .. تأكل اعين قريتنا
كنا نركض .. نسمع اصوات
مدافع اعدائنـا
وطيور بيادرنا تبكي وتحلق في
الجو المحروق .. تلاحقنا
حتى كل وحوش الغابات السمر رأيناها
تحزم ما تملك للهجـرة
كانت تخشى ان يأسرها الجنزير الاسود

□□□

كنا ننسحب وقـد خبانـا في
الجدران الاشياء
نحمل في ايدينا حفنة تربة ..
من ارض الوطن المصلوب
كنا نتمنى ان نأخذه .. نأخذ كل التربة
لكنا لـم نقدر في تلك اللحظة

□□□

وسط حقول القمح المحترقة
شاهدت عجوزا تركع فوق الارض
وتهمس :
ــ سأموت هنا .. لن اترك لسفاح الماء
بل ساحول دمعي مطرا يطفىء كل حريق
وغدا سيعود فتاي الغائب في الفلوات
واؤكد سوف يعود ويأخذ لي بالثار ..

□□□

انا ننسحب الان ونرحل نحو البعد
ونكابر في اظهار الفرحة فوق القيد
انا نرجع .. ننسحب الان لانا نعلم
ان قصاص المستقبل آت محتوم .

شعـر :
عادل ادب اغا

متاريس ، وموسيقى جديدة

.. قلت انهمر ايها المطر فالغابة باتت بحاجة الى رداء وحشي اخضر اللون ..

.. قلت تكسر ايها الموج فليس ثمة الا الزبد من كل اشيائك نحتاج ..

وقلت ارحل عبر الصمت ايها البكاء الطحلبي، فلا انت ولا غيرك ما عاد ينفع في ليالي الصقيع لان من رأى « ميدوزا » صار حجرا ولـم يعد يغني لان صوته صار قطيعا من حمام اخرس .

وقلت نم ايها السكون الذي لـم يعرفه احد اذ اتى متنكرا في صورة الـه اسود وطلب من الجثث الحمقاء ان تعبده فعبدته وذبحت لـه القرابين في اليوم العاشر وكان قد دنسها والبسها العار في اليوم الخامس .

قلت للاشياء ان تحذر النعاس لانه خدر لذيذ يريح الاعصاب ويمتص النقمة تماما كما تفعل المسرحيات التي تعارض النظام .

قلت تحرك ايها الشعر وكن رداء ولبا لولادتنا الجديدة فلم يتحرك الشعر وانسابت انهار في الكلمات تقول :

« حل وقت البكاء ولكن
نشف الدمع في العيون
ومـات »

رايت ظلي يسير بمحاذاة حبات الرمل لاستبشرت خيرا وقلت لعلي اخيرا عرفت كيف اتجه ونظرت الى السماء

فلم اجد الا اشياء تستحق اللعنة
وقفـزت
كانت الالوان متنافرة فقلت للالوان
ان تتشكل لافهم من انـا
وفهمت

قلت للقوافل المسافرة عبر الصحراء ، ان الصحراء لـم تعد خالية ولا رائعة فالريح قـد خلقت حين امتزجت بالرمال سرابـا اخذ يتحول الى اجنحة طيور والـى قذائف تطلق كاصوات الجن « حين تطير » .

بعد هذا انجذبت الى البعد السادس اتلمس طريقي كولي اعمى نسوه في ليلة ذكراه ..

قلت (بصوت فيه بعض الغناء)
انا الشرقي سمعت العار مرات ولم اعره انتباها
قلت :
انا الانسان حركتني الدمى وما عرفت طريقي .
قلت :
انا الشبح الغافي في الليل انتظر ليلا آخر .
قلت :
انا كل شيء حين تكون الاشياء كلمات تقال .
قلت :

وقلت وحين انتهيت مما اقول رددت الاصداء :

« حل وقت البكاء ولكن
نشف الدمع في العيون
ومـات »

عرفت ساحرا كان يغيب عند كل اصيل حيث يتحسس جلود النساء فيعرف ويعرف جمهوره ويصنع مـن حبيبات العرق الات كهربـائية للاستهلاك . وعرفت شعوبا كان الحقـد يخلقها ويحيلها دماء حمراء ..

وعرفت حكاما نشفت عروقهم حين لـم يعد غير العروق مصدرا لكبريائهم (كلمات اقولها على الهامش / وان كان بالامكان اعتبارها مـن صلب الموضوع اذ باتت لا تختلف ليلـة نقضيها مع امراة عن ليلة نقضيها في الاستماع الى راديو بعيد علينا للمرة المليون خطابا سئمناه وسئمنا مع ذلك فبيننا من يصفق له /

شممت انفاسا عطرة تنبعث من ثغـر حبيبتي فقلت لحبيبتي
احبك

وقلت للسماء حين ظللتنا : اعطنا شمسـا او اعطنا مطرا او اعطنا غبارا فنحن بحاجة الى اي شيء نحتمي به .. لقد تعودنـا الاختباء)

وقلت للاشجـار انقطعي وارتمي فـي قـاع المحيطات لان شعبي يموت .

وقلت لشعبي : تلون قبل ان تموت
وترتمي في البحـار
كي استطيع ان اتعرف عليك وانتشلك
اذا
ما احسست بشوق اليك .

وقلت لابراج ركبت السماء بكل غرور : انهدمي فلم يعد شعبي بحاجة اليك فشعبي سيموت لانه سيخلق من جديد وحين يخلق سيكون بحاجة الى المتاريس والى موسيقى جديدة .

وقلت لكل ما على الارض :
انحني قبل ان يمر الفقراء
لان الفقراء
هم الشعب الذي لا يموت

روت لي الشلالات مرة انها لـم تغسل قبل اليوم اقذارا ولا اجسادا عارية / وانها لم تعرف كيف تقول : نعم مرة واحدة وانها لم تعرف
انحدارات
الميـاه
الـى
اعلـى

ولا تغير مجرى النهر حين تبعته ولا تحول الماء الى دم الا حين اختلطت التربة الحمراء به بعـد الطوفان وقـال الساذجون : هـذا دم ادونيس وقالوا لما امطرت السماء : عشتروت تبكي عليه .

وكان ان تحولت الشعوب الى قطاع خرفـان في اليومين التاسع والعاشر واثبتت انهـا لـن تعرف ابدا قذارة اسمها : حرية .

وقالت الشعوب حين اشرابت بعينيها تـرى وهمهـا :

« حل وقت البكاء ولكن
نشف الدمع في العيون
ومـات »

خرست فجاة ردود الصدى وارتفعت المـدن تشهـق .

ولعن الفقراء سكان الابراج حين جاءهم صوت جليل يقول :

« وانا خلقناكم طبقات »

وضع الفتى قنبلة موقوتة عند زاويـة الشارع وانتظر انفجارها

قلت للتاريخ : هذا او صلاح الدين !؟
قلت للعالم : هذا او صلاح الدين !؟

اقتنعت انا اول الامر وحين فشلت في اقناع الاخرين الكفات على نفسي القول :

فلادعهم انهم سكان اليوم العاشر
فلادعهم انهم سكان اليوم الخامس
جميعهم يقولون : صلاح الدين
يرددون : صلاح الدين
يتنفسون : صلاح الدين .
ثم يموتون ضاحكين
لعنت صلاح الدين

لعنت اليـوم الخـامس والسادس والسابـع والثامن والتاسع وحين وصلت الى اليوم العاشر احسست بالغثيان وباني اكاد اختنق لعنت نفسي (وكانت خطيئة غفرتها فيما بعـد) كمـا لعنت كل شيء .

قلت للايـام حين اجتمعت بهـا فـي مقهـى رصيفي : اتذكرينني ؟

تجاهلتني الايـام ففرحت وقلت : تخلصت من عقدتي اخيرا .

وادركت ان الصمت كان مفتاح الجريمة
وادركت ان الكلام كان مفتاح الجريمة
وادركت انه كان للجريمة اكثر من مفتاح
وادركت ان علي بعد الان ان ارفض نفسي وان العن صلاح الدين ، كلما جـاء خامس من حزيران او عاشر منه .

ادركت ان كل شيء تقاس قيمته بمقدار الحقد الذي يحتويه .

ادركت اخـيرا سبب موتـي الماضي فانتفضت وبحثت عن سيف بجـانبي . لـم اجد سيفـا وادركت ان الزمن لـم يعد زمن السيـوف .

اتيت بعقيدتي من قلبي وطردت بهـا الموت ثـم مزقت المنشور الذي كان يقول بوقاحة :

حل وقت البكـاء ولكن
نشف الدمع في العيون ، ومات
فتنفس بحرية للمرة الاولى .

(ابراهيم العريس)

● يوم من أيلول

صرخات الصبية تحت الشمس
وبباب مخيمنا عسكر
يلهون بصوت رصاص ..!
كالملح برش .. او السكر !
ويصيحوا الصبية ملعونين
وهناك اناس .. يحترقون
الشمس تشع انين ..
والارض تميد ..!

□□□

وتقوم الام ، كمجنونة
كالخيمة ، تبدو مرهونه
كوم اسود ! والارض تميد !
وتصيح ..
ترى « وين » وليد ؟
« وين » فؤاد .. وسحر ؟!
ويزخ الموت مطر
ويقهقه عربيد ، اسود
ــ اجساد بنيك محروقه
ــ مسجاة باللون الاحمر ..
وهنا يـا امي تحت الشمس
سيقام الليلة عرس ..!؟

□□□

قل لي ..
يا حقلي المنهوب .. ومن زمن
محمول .. في سفن
يا جوعي الصارخ .. خلق الفقر
يا قابع فوق .. الدهر
قل لـي ..
يا جرحي المحفور ، في عرقي
في يدايـا ، وعنقي
يا شعبي المصلوب خلف العمر
الرابض خلف النهر ..!
قل لـي ..
اني لن اخفض راسي
اني لن اخضع نفسي
اني لن اهزم دربي
«اقاتل من جلدوا شعبي ..

لقاتل ــ ابو فراس

دار الفن والادب

ــ يلقي الاستاذ هشام شرابي ، الساعة الثامنة مساء الاثنين ١٩ نيسـان ، محـاضرة موضوعهـا « الثورة والتحديث » .

ــ تقام ثاني امسية تتعلق باهم احداث الموسـم الفني ٧٠ ــ ٧١ ، وسيتكلم خلال هذه الامسية السيد مروان بحيري عن المسرح ، الثامنة مساء الجمعة ٢٣ نيسان .

تجدونها في المكتبات
مؤلفات من الاتحاد السوفياتي

• تقرير ليونيد بريجنيف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب
• تقرير ألكسي كوسيغين حول توجيهات الخطة الخمسية التاسعة لتطوير اقتصاد الاتحاد السوفياتي الوطني للاعوام ١٩٧١ - ١٩٧٥
• لينين : مختارات ، في اربعة أجزاء
• جون ريد : عشرة ايام هزت العالم
• كاروزينا : مبادئ علم البيولوجيا

للاستعلام ، مراجعة
دار الفارابي - شارع الأرز . ت : ٢٤٩٦٣٢ ص ب ٣١٨١
مكتبة اصدقاء ماشدورتز - شارع الكبوشيين . ت ٢٥٥٠٧١